## تابع المحور الثاني: النظريات الكبرى في علم النفس النمو

## المحاضرة السادسة: نظرية النمو المعرفي لجان بياجيه Jean Piaget

**أهداف المحاضرة:**

- فهم اهم مفاهيم النظرية
- تفسير النمو المعرفي للفرد من وجهة نظر بياجيه

**تمهيد:**

لقد ظهر الاتجاه المعرفي في علم النفس كرد فعل على الاتجاه السلوكي . حيث يقول بضيق أفق سيكولوجية المثير - والاستجابة. فهم أي أصحاب الاتجاه المعرفي يعتقدون أن سيكولوجية المثير - والاستجابة لا تصلح لدراسة السلوك المعقد. و إن هذا الاتجاه يُغفل أن الإنسان يمكن أن يفكر، ويخطط، ويقرر بناء على ما يتذكره. كما أنه يمكن أن يختار بانتقائية بين المثيرات المختلفة التي يتعرض لها، ويمثل الاتجاه المعرفي في علم النفس أحد أهم خمسة اتجاهات معاصرة في علم النفس.

**ويعد بياجيه Piaget** من أهم علماء النفس والنمو والتطور المعرفي. وبشكل خاص يعد أحد الأعمدة الأساسية التي أسهمت في تطور المعمار المعرفي في نظريته التي طورها وهدف منها إلى فهم نمو وتطور العمليات الذهنية للطفل

**1- لمحة عن صاحب النظرية:**

ولد جان بياجيه في 9 أوت من عام 1896 وتوفي في 16 سبتمبر من عام 1980. حصل على الدكتوراه في العلوم الطبيعية عام1918 وعمره اقل من 22 عاما من جامعة Neuchâtel. University of, Switzerland. وقام بدراساته بعد الدكتوراه بين عامي 1918-1919 في التحليل النفسي. نشر العديد من البحوث بداية من عام 1907 وعمره 10 سنوات في علم الأحياء. ونشر أول دراسة له في علم النفس عام 1921 عن الذكاء، ثم توالت دراسته عن الطفولة والنمو المعرفي، والمعرفي الاجتماعي بشكل خاص. احتل العديد من المناصب الأكاديمية والإدارية بالجامعات ومنها جامعة تيوشتيل وجنيف والسربون. اشتهر بياجيه بنظريته في النمو المعرفي والتي جعلت منه واحدا من أهم المؤثرين في علم النفس المعاصر ووجهت العديد من الباحثين والمنظرين من بعده.

و يرى بياجيه أن الدماغ هو آلة التفكير.. وأن معرفة ما يدور في الذهن وتمثيله يضيف بعداً كبيراً للنمو المعرفي عند الإنسان.. وفهم آلياته الذهنية. إن علم النفس المعرفي هو علم فهم تفكير الإنسان، وأدواته، وأسباب اختلاف معالجاته الذهنية في المواقف البسيطة والمتطورة .

**2- النمو المعرفي عند جان بياجيه:**

يرى **جون فليبس John Philips :"**أن النمو العقلي المعرفي لدى بياجيه عبارة عن : تغيرات في الأبنية المعرفية تحدث من خلال عمليتي التمثل و المواءمة ".

فيما يرى **فورمان Formen :"**أنها العملية التي يستطيع الطفل بموجبها بناء فهم أكثر ذكاءا للعالم الذي يعيش فيه."

ويرى **بياجيه**:" أن النمو العقلي المعرفي هو نمو المعرفة عند الطفل خلال سنوات حياته المختلفة ، وطريقة معرفته للعالم ، وطريقة نمو الأفكار و المفاهيم لديه ، وكذلك فهو اكتساب تدريجي للقدرة على التفكير باستخدام المنطق."

**2- 1- العوامل المؤثرة في النمو المعرفي :**

هناك مجموعة من العوامل التي تؤثر على النمو المعرفي للطفل و تعمل أو تساهم بشكل مباشر في انتقاله من مرحلة لأخرى من مراحل نموه المعرفي... ومن أهم هذه العوامل :

**أ. النضج :**

ويشير هذا المصطلح إلى عمليات النمو الطبيعي التلقائي التي يشترك فيها جميع الأفراد ، والذي ينتج عنها حدوث تغيرات منتظمة في سلوك الفرد سواء وجدت خبرة سابقة أم لم توجد ، بمعنى أنه أمر تقرره الوراثة.

**ب. الخبرة:**

وهي عبارة عن تفاعل الفرد مع الأشياء و المواقف الموجودة في بيئته ، و قسمها بياجيه إلى ثلاث أصناف :

**الخبرة المادية:**تتمثل في معرفة الطفل بأسلوب أداء الأشياء أو الموجودات في البيئة من حوله وتفاعله معها .

**الخبرة الرياضية المنطقية :** بعد تكوين الخبرة المادية ، تأتي محاولات الطفل لمعرفة أداء الأشياء ذاتها أو تصنيفها و عدها و ترتيبها مما يمكن الطفل من القيام ببعض التعميمات على مجموعة من الأشياء ذات الصفات المشتركة أو إيجاد علاقات.

**النقل الاجتماعي :** ويقصد به تفاعل الفرد مع الآخرين ممن يحيطون به من أفراد المجتمع ، هذا التفاعل يؤدي إلى الخبرة الاجتماعية ، و هوشرطا أساسيا لبناء البنيات المعرفية.

**3- مفاهيم النظرية:** يعتبر بياجيه أن هذه المفاهيم تعد ميكانيزمات للنمو.

**أ- الأبنية المعرفية Schema :** يفترض **بياجيه** أن النمو المعرفي ما هو إلا تغير في الأبنية المعرفية التي تعد قواعد للتعامل مع المعلومات أو الأحداث ، ويتم عن طريقها تنظيم الأحداث بصورة إيجابية ، ، وبالرغم من أن هذه البنيات العقلية ذات أساس وراثي لكن البيئة المحيطة تساهم في تطورها وتبلورها، وتقوم بدور مهم في عملية التكيف بالنسبة للفرد و تمثل نظاما عقليا منظما بدقة يوجه السلوك .

**ب- الوظائف الذهنية:** يعدها بياجيه حالة عامة للنشاط الذهني، ويركز على الجانب الفطري في هذا العامل، مفترضاً أنه يكاد يكون مستقراً نسبياً، فلا يتمحور، ولكن يتطور مع الوقت ويتسع وتزداد كفايته ووظيفته. والظروف البيئية تسهم في صقلها وتعميقها .

**ج- التوازن المعرفي :** يحدث النمو المعرفي عندما يواجه الطفل موقفاً يؤدي إلى اختلال التوازن عنده بين ما لديه من مقدرات واستراتيجيات وما يتطلبه الموقف المواجه.. وهذا يضطر الطفل إلى تطوير ما لديه وإعادة تنظيم الموقف بما يتناسب والعناصر المستجدة عليه. وهو يعتبر من العوامل المؤثرة على النمو المعرفي ، حيث يعتبر النمو المعرفي في نظر **بياجيه: "على أنه عبارة عن سلسلة من عمليات اختلال التوازن واستعادة التوازن أثناء التفاعل مع البيئة، وذلك باستخدام عمليتي التمثل و المواءمة (الملاءمة) بصورة متكاملة. "**

**د- التمثل :** هي عملية استدخال للخبرة البيئية الجديدة ثم تحويلها أو تغييرها إلى أشكال معرفية أو أشياء تناسب أبنيته المعرفية الحاضرة أو تلائمها.. فهي عملية يتم من خلالها تشويه الأشياء لكي تتنا سب مع ما يوجد لديه من خبرات.

**هـ- المواءمة:** هي عملية تحويل أو تغيير البنى المعرفية الحالية المتوافرة في خبرات الطفل، وتطويرها بشكل يناسب المنبهات أو المدركات التي يواجهها الطفل في البيئة.

☜**((التوازن المعرفي هو الحالة النمائية المعرفية التي يسعى الطفل إلى تحقيقها))**

**و- التنظيم المعرفي:** هو عملية مزدوجة من الإدراك و الاستيعاب فالفكر يميل لأن يتكون من أنظمة تتحد مكوناتها لتكون وحدة كلية،و تزداد هذه الصورة وضوحا بنمو الطفل. فالطفل الرضيع مثلا لديه أشكالا منفصلة لمص الأشياء و القبض عليها، و بتنظيم هذه الأشكال بعد ذلك في شكل مرتب بصورة أفضل مما يتيح الوصول بطريقة منظمة إلى الشيء و جذبه إلى الفم لمصه.

**ز- التكيف المعرفي:** الجدير بالذكر أن هذه العمليات الثلاثة **(التمثل، المواءمة،التنظيم)** تحدث دوما في آن واحد خلال معالجة المعلومات و الأفكار ،و يشكلون معا وجوها مختلفة لعملية واحدة هي التكيف مع العالم الخارجي، أو احتفاظ الفرد بتوازنه و انسجامه مع البيئة التي يعيش فيها.

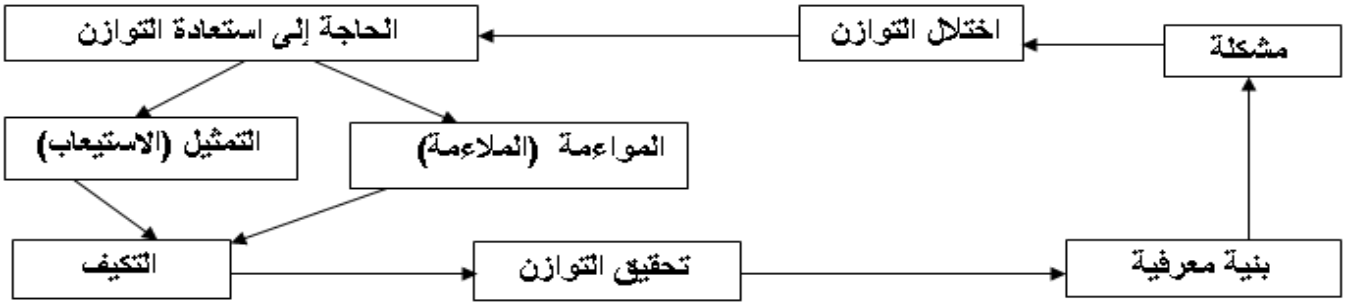
مشكلة
اختلال التوازن
الحاجة إلى استعادة التوازن
التمثيل (الاستيعاب)
المواءمة (الملاءمة)
التكيف
تحقيق التوازن
بنية معرفية